ومن ثمة اختار جماعة من ائمتنا طهارة جميع فضلاته و اما نومه فهو
الاغفاء اى اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب
وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان
تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض
وضوئه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن
ثمة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدرى ما هو فيه ولا ينافيه نومه
صلى الله عليه وسلم بالوادى عن صلوة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من
وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهى
نائمة والقلب يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل لانه قبل الفجر الى ان حميت
الشمس لانه كان مستغرقا فى شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما لم ينبه
على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التى استفيدت من تلك الواقعة
كسهوه بالصلوة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذى كان ح وردوه
بانه لم يثبت فهو مردود على قائله كتأويل بعضهم قوله لا ينام قلبى بما يخرج عن ظاهره
بغير دليل واذا قد انتهى الكلام على شىء من محاسن ذاته التى لم يخلق الله تعالى ذاتا
اشرف منها فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التى لم يخلق الله اشرف
منها ايضا فنقول ما سوى خلقه النسيم ولاه غير محياه الروضة
الغناء ما سوى اى ليس غير خلقه النسيم اى الريح التى فى غاية اللطافة واللين

والطيب

١١٨

والطيب يعنى لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن
عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
ثم قال فلرسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صرح هذا ان خلقه
افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه
قلت هذا الايذان انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول
لنكتة كما فى كما صليت على ابراهيم اه فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار
ما فيها مما يثبت الروح ويحيى القلوب ويجلو صدأ النفس وغير ذلك مما لا
قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت يعنى لا يشبهها اه لابين ان هذا المراد من
العبارة لا نفى هى به وذلك لان نفى مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها
الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه فى الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم
للنفى بغير وعبارته غير يقال على اوجه الاول ان يكون للنفى المجرد من غير اثبات معنى
به نحو مررت برجل غير قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هوى بغير هدى من
الله وهو فى الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتى فى شرح قوله وما
سوى هو الكمال ما له بها هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب
وهو والمفتوح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخارى
ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزى وتمامه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)